BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مراصد

كراسات علمية ٤٥

الأساطير الأخروية العربية

من الإهمال والإخمال الديني إلى سؤال الشرعية الأدبية الأسطورية

تأليف

أ. د. جعفر ابن الحاج السُّلَمِي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة عبد المالك السعدي، تطوان – المغرب

مراصد ٤٥

عدد مارس ٢٠١٨

كراسات علمية محكمة تعنى برصد أهم الظواهر الاجتماعية الجديدة، خاصة في الاجتماع الديني العربي والإسلامي، تصدر عن وحدة الدراسات المستقبلية – برنامج الدراسات الاستراتيجية، بمكتبة الإسكندرية.

رئيس مجلس الإدارة
مصطفى الفقي

رئيس التحرير
خالد عزب

سكرتارية التحرير
أمنية الجميل

التدقيق اللغوي
محمد حسن

التصميم الجرافيكي
آمال عزت

الآراء الواردة في «مراصد» تُعَبِّر عن رأي الكاتب فقط، ولا تُعَبِّر عن رأي مكتبة الإسكندرية.

الأساطير الأخروية العربية

من الإهمال والإخمال الديني
إلى سؤال الشرعية الأدبية الأسطورية

تأليف

أ. د. جعفر ابن الحاج السُّلَمِي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة عبد المالك السعدي، تطوان – المغرب

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة– أثناء – النشر (فان)

السلمي، جعفر ابن الحاج، –1962

الأساطير الأخروية العربية من الإهمال و الإخمال الديني إلى سؤال الشرعية الأدبية الأسطورية / تأليف جعفر ابن الحاج السلمي. – الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، برنامج الدراسات الاستراتيجية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2018.

صفحة ؛ سم. (مراصد ؛ 45)

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

تدمك 978-977-452-469-5

١. القيامة، يوم (إسلام) ٢. الأساطير العربية. أ. مكتبة الإسكندرية. برنامج الدراسات الاستراتيجية. وحدة الدراسات المستقبلية. ب. العنوان ج. السلسلة.

ديوي –297.23 2018569334192

ISBN 978-977-452-469-5
رقم الإيداع: 2018/5979

© ٢٠١٨ مكتبة الإسكندرية.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الكراسة، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الكراسة، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

المحتويـــات

١- الأسطورة والأسطورة الأخروية: تحديد المفهوم ٨

٢- بداية الأسطورة الأخروية في التراث العربي ١٠

٣- الموقف السُّني من مُدوَّنات الأساطير الأخروية الأولى: كتاب الفتن لنُعَيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٣-٨٤٤م) نموذجًا ١٢

٤- أدبية الأساطير الأخروية، من منظور نظرية الأدب ونظرية السرد ١٦

أ- التزييف ١٧

ب- المُحال ١٨

ج- التأريخ ١٩

٥- الفتنة: المفهوم المركزي في الأسطورة الأخروية ٢٠

٦- من الأسطورة الأخروية إلى الأسطورة الجفرية والحِدثانيَّة: نهاية أم تطور؟ ٢٣

الملحـق: نصوص فتنية جفرية ملحمية ٢٧

المصادر والمراجع ٤١

تشكل الأسطورة العربية من حيث هي جنس أدبي غني بالغ الغنى، مخزنًا كبيرًا لأنواع أدبية كثيرة، لا يُهتَم بها من حيث هي سرد أدبي، وخيال إنساني رمزي معبر ودال جدًّا في العالم العربي إلا قليلاً، لأجل ما تعرضت له طويلاً من إهمال وإخمال. إن هذه الأنواع المختلفة، كالأسطورة التكوينية، والأسطورة العجائبية الغرائبية، والأسطورة الكرامية، تشكل المظهر الأكثر بروزًا للأساطير العربية. بيد أن في السرد العربي أنواعًا أسطورية أخرى لا تقل من حيث شرعيتها الأدبية عن هذه الأنواع التي ذكرنا، وسبق لنا أن تعرضنا لها بالدراسة في أبحاثنا وكتبنا. ومع هذا، فهي مهملة تمامًا من حيث دراسة أدبيتها، على الرغم من إنسانيتها وكونيتها وخيالها المجنح، وإمتاعها اللذيذ أحيانًا، وإرعابها أحيانًا أخرى.

ومن أبرز هذه الأنواع الأسطورية المهملة، الأساطير الأخروية، أي الأساطير التي تجعل مميزها الأساسي التنبؤ بما سوف يقع في «آخر الزمان»، أو في «الدار الآخرة»، بتعبير المسلمين، أو ما يسميه الغربيون بالإسكاطولوجية. إن مشكلة «الأساطير الأخروية» تكمن في كونها خطابات عاشت دائمًا بين فكي الرحى، فأضحت غير مقبولة تمامًا أو غير ذات مصداقية دينية كبيرة على العموم عند علماء الدين المسلمين السنيين، وغير معترف لها بصفة الأدبية عند نقاد الأدب وأصحاب نظريته، بالنظر إلى التبعية العامة للسؤال الأدبي العربي في العصر الوسيط للسؤال الثقافي، وتبعية السؤال الثقافي للسؤال السياسي الديني، حتى صارت في واقع عالم الأدب والنقد نسيًا منسيًّا. إن هذا الإهمال غير المتعمد للأساطير الأخروية يجعل من واجب الباحث في الأساطير من حيث أدبيتها الاعتناء بإثبات أدبية الأساطير الأخروية، وأنها تستحق الدراسة من منظور نظرية الأدب على الأعم، ونظرية السرد على الأخص، وتجنيس الأساطير الأخروية ضمن جنس الأسطورة العربية، وإلحاقها بها باعتبارها فرعًا من أصل، ونوعًا من أنواع جنس أدبي معين وموصوف، حتى لا تبقى فرعًا منسيًّا مهملاً ومُزوَرًّا عنه، والكشف عن مكونات هذا النوع الأسطوري وسماته وبلاغته وإشكالاته.

ولا ندعي في هذا المقام أننا سوف نفي في بحثنا هذا بكل ما نتطلع إليه بخصوص أدبية الأسطورة الأخروية، ونطرح نظرية نقدية منسجمة تمام الانسجام ومتكاملة. وإنما حسبنا أن

نطرح إشكال إهمال الأسطورة الأخروية، وأن ننبه أولاً على وجود هذا الضرب من الأساطير، وغناه وأدبيته، وموقف التراث السني منه، عسى أن يعمل الباحثون العرب وغيرهم على تطوير نظرية أو نظريات نقدية تخص هذا النوع الأدبي. وسوف يعتمد بحثنا هذا على مدونات الأحاديث الموضوعة في القرون الهجرية الأولى التي جمعها المحدِّثون السنيون، باعتبارها دواوين للأدب الأسطوري الأخروي العربي، وأولى هذه المدونات كتاب «الفتن» لنُعَيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٣م-٨٤٤م) لغزارة مادته وأقدميتها، وإعلان المحدِّثين القدامى بأن أكثر ما يرويه «باطل»، متنكبين المدونات غير السنية؛ لأن لها مجالها الخاص الذي يستحق دراسات مفردة.

١- الأسطورة والأسطورة الأخروية: تحديد المفهوم

لا شك في أن مفهوم الأسطورة مفهوم لا يخلو من التباس، بالنظر إلى كون أكثر الباحثين في الأساطير يجعلون النموذج اليوناني للأساطير هو أنموذج الأسطورة، فيصعب عليهم تقبل خصوصية الأسطورة العربية، بل قد لا يخطر لهم على بال وجود أنواع من الأساطير في التراث العربي غنية ودالة جدًّا، كالأساطير العجائبية والأساطير الكرامية.

إننا نقصد بالأساطير كل حكي أو سرد مقدس تضمن أحداثًا خارقة للعادة، جرت في الزمن الأول المقدس (زمن البدايات الخرافي) بتعبير مرسيا إلياد[١]، أو سوف تجري لا محالة في الزمن المقدس الأخير، قبيل قيام الساعة. إن هذا النوع من الأساطير هو ما يهمنا في هذا المقام. وهو غزير جدًّا في التراث العربي، في صورة «أحاديث» منسوبة إلى الرسول ﷺ منبع القداسة، أو صحابته، أو حتى عموم الجيل المقدس، جيل «السلف الصالح».

لا نجد في التراث العربي مصطلحًا جامعًا لما نسميه نحن بـ«الأساطير الأخروية». وإنما تُستَعمل فيه مفاهيم «الفتن» و«الملاحم» و«أشراط الساعة» وما إلى هذا. إن هذا النوع من الأساطير، يقابل من حيث المبدأ، ما يسميه الغربيون بالإسكاطولوجية.

(١) Mircea Eliade, *Aspects du mythe*, Collection idées 32 ([Paris]: Gallimard, 1963): 16.

يُعرِّف معجم لاروس الفرنسي «الإسكاطولوجية» بقوله: «مجموع المذاهب والاعتقادات المتعلقة بمصير الإنسان الأخير بعد موته (إسكاطولوجية فردية)، ومصير الكون بعد فنائه (إسكاطولوجية كونية)».

إن تركيبة هذا المصطلح مُكوَّنة من كلمتين يونانيتين؛ «إسكاطو»، وتعني الأخير، و«لوجي»، وتعني العلم، أو المعرفة. فهي إذن، من حيث اللغة اليونانية، معرفة الأخير، أو علم الأخرويات، إن شئنا. لكن الفهم البسيط اللغوي، وإن كان هامًّا، فهو لا يكفي لضبط مفهوم الإسكاطولوجية. ويُعرِّف هذا المصطلح معجم مِدياديكو بقوله: «مجموع المذاهب والاعتقادات المتعلقة بنهايات الإنسان والكون الأخيرة».

وفي موسوعة ويكيبيديا، نجد تعريفًا أوسع من السابق؛ فهو: «الخطاب المتعلق بنهاية الزمان. وهو يرجع إلى علم اللاهوت والفلسفة في صلتهما بنهاية الزمان، وآخر حوادث العالم، ومصير الجنس البشري الأخير. وتسمى عادةً بـ«نهاية الزمان». وفي أديان كثيرة، فإن «نهاية الزمان» هذه هي حادث مستقبلي مُتنبَّأ به في النصوص المقدسة أو الفلكلور. ومن منظور أوسع، فإن الإسكاطولوجية قد تحتضن مفاهيم متعلقة بها، مثل المسيح، والأزمان المسيحانية، والآخرة، والروح.

وهي في معجم مريم وبستير الإنجليزي: ١- فرع من علم اللاهوت، متعلق بالحوادث الأخيرة في تاريخ العالم أو الإنسانية. ٢- الاعتقاد المتعلق بالموت، وبنهاية العالم، والمصير الأخير للإنسانية. وفي معجم اللغة الإسبانية[١]: «منظومة النظريات والاعتقادات والمذاهب المتعلقة بالحياة في الآخرة».

إن الأسطورة الأخروية في نظرنا، هي كل أسطورة تتنبأ بالمصير الحتمي المقدور للإنسان والكون، كله أو بعضه، في آخر الزمان، أو في الدار الآخرة. إن كتاب الفتن، لنُعَيم بن حماد، أنموذج بليغ جدًّا لدواوين الأساطير الأخروية العربية، وإن تضمن نصوصًا ليست أسطورية، حيث ضم بين دفتيه ٢٠٠٤ نصوص مروية مسندة بأسانيد ضعيفة جدًّا أو موضوعة، باصطلاح المحدِّثين. وأكثر هذه النصوص قصيرة النَّفَس إجمالاً، ذات الطابع الأسطوري، هي نصوص أسطورية أخروية، بالمعنى الدقيق للكلمة، يدفعها المحدِّثون من علماء الدين، ولا يرونها نصوصًا دينية مقدسة، على

(١) « Espasa-Calpe », *Wikipedia: La encyclopedia libre,* https://es.wikipedia.org/wiki/Espasa-Calpe

العموم، ويتحاشى دراستها نقاد الأدب كذلك، مخافة اختراق التحريمات الدينية. فكان ذلك سببًا كبيرًا في إهمال اكتشاف أدبيتها البارزة للعيان.

٢- بداية الأسطورة الأخروية في التراث العربي

كان إعدام الإسلام للأساطير الجاهلية المقدسة حتى صار أكثرها نسيًا منسيًّا، مدعاةً لأن تظهر أساطير أخرى حلت محلها؛ لأن طبيعة الأشياء أنها لا تقبل الفراغ. وبدلاً من أن تُصادِم الأسطورة الإسلامية، أي الناشئة في سياق الحضارة الإسلامية الناشئة، هذه الثقافة الدينية الإسلامية، عملت على احتوائها، فتغلغلت فيها، بل عملت على تمثيلها، وتقمص أشكالها ومضامينها، بالعمل على تزويرها، أو «تزييفها» باصطلاح المحدِّثين، أي بإنشاء نصوص أسطورية تجعل من الأحاديث النبوية أنموذجها الأعلى، تحاكيها شكلاً ومضمونًا، ويساعدها في ذلك طبيعة الثقافة الدينية الإسلامية في بدئها؛ من حيث هي ثقافة شفوية قائمة على الرواية الفردية للنصوص المقدسة؛ تتيح من حيث المبدأ مجالاً رحبًا للُّبس والوهم والافتعال، لولا العلماء الجهابذة الذين كانوا يتصدون في أحيان كثيرة لظاهرة تزييف النصوص الدينية. وقد قام بإبداع هذه الأساطير طائفتان من الناس:

أ- طائفة مثقفة عالمة، كانت تشكل في زمنها جزءًا من النخبة الإسلامية، ولها موقف أيديولوجي رافض مطلقًا للثقافة الإسلامية، وما فيها من «سنة» و«حديث». لكنها لا تَقْدِر دائمًا على التصريح برفض الثقافة الإسلامية، فتعمل على الاستهزاء بها وتمييعها حتى يختلط الحابل فيها بالنابل، بتزييف النصوص المقدسة، أي بإنشاء أحاديث مشتبهة أشد الاشتباه بالأحاديث الأصلية. وهذه الفئة هي الفئة المعروفة بـ «الزنادقة»[١].

ب- وفئة أخرى، هي فئة القُصَّاص، أو الوعاظ والمذَكِّرين[٢]. ولم يكن هؤلاء من ذوي الموقف الأيديولوجي المعادي. بل كانوا فئة عامية أو أقرب إلى العامية، ذات موقف موالٍ للثقافة الإسلامية،

(١) عن ظاهرة الزندقة ومفهومها، انظر: مُلحِم شُكر، **الزندقة في دار الإسلام، في القرن الثاني للهجرة** (بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٦).

(٢) عن ظاهرة القُصَّاص في التراث العربي، انظر: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري (ابن الجوزي، ت ٥٩٧هـ)، **القُصَّاص والمذَكِّرين**، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦)؛ ألفت كمال الروبي، الموقف من القَصِّ في تراثنا النقدي ([القاهرة]: مركز البحوث العربية، [١٩٩١])؛ وديعة طه النجم، **القَصَص والقُصَّاص في الأدب الإسلامي، دراسات في التراث العربي** (الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٧٢).

تعيش من السرد الأسطوري، وتعمل على تزييف النصوص المقدسة، إما عن حسن نية، وإما طلبًا للمعاش من العامة. وقد بلغ أمر انحطاطها في طلب العيش بترويج السرد الأسطوري وغير الأسطوري لدى العامة، أن وصفها ابن الجوزي بـ«الشحاذين». يقول عنها: «الشحاذون: فمنهم قُصَّاص، ومنهم غير قُصَّاص. ومن هؤلاء من يضع، وأغلبهم يحفظ الموضوع»[١].

ويعدد ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩-٨٩٠م) مفكر الانقلاب السني في القرن الثالث، والأقرب عهدًا إلى نُعَيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٣-٨٤٤م) صاحب أقدم مدونة متخصصة في الأساطير الأخروية، أو تكاد، وهو «كتاب الفتن»؛ أسباب وضع الحديث، ويحدد الجماعات المسئولة عن إنتاج وترويج هذه الظاهرة الدينية الأدبية، فيقول:

«منها الزنادقة واحتيالهم للإسلام، وتهجينه بِدسِّ الأحاديث الـمُستشنَعة والمستحيلة... منهم ابن أبي العوجاء الزنديق، وصالح بن عبد القدوس الدَّهرِيّ. والوجه الثاني: القُصَّاص على قديم الأيام، فإنهم يُميلون وجوه العوامِّ إليهم، ويستَدِرّون ما عندهم بالمناكير والغريب، والأكاذيب من الأحاديث. ومن شأن العوامِّ القعود عند القاصِّ، ما كان حديثه عجيبًا، خارجًا عن فِطَرِ العقول، أو كان رقيقًا يُحزِنُ القلوب، ويستَغزِرُ العيون. فإذا ذَكَرَ الجنة، قال: فيها الحَوراءُ من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل... وكلما كان من هذا أكثر، كان العجب أكثر، والقعود عنده أطول، والأيدي بالعطاء إليه أسرع»[٢].

ومهما يكن من شأن الجماعة التي تصدت لإنشاء الأساطيرِ الأخروية، أساطيرِ الفتن والملاحم وأشراط الساعة، فإن تراثهما، هو ولا شك، تراث مشترك، لا سبيل في نظرنا إلى تمييز بعضه عن بعض، لأجل افتقارنا إلى المعلومات الضرورية الأساسية في هذا الشأن. والجامع بينهما، هو ولا شك، السمة المهيمنة في الأسطورة على العموم، أي «الباطل وشبه الباطل»[٣]، الـمُخرَجان في صورة «الحق» الديني المقدس المحض، الذي يجعل «الواقف»، أو المتلقي السني العالِم، يدفع

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري (ابن الجوزي، ت ٥٩٧هـ)، **كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات**، تحقيق نور الدين بن شكري بويا جيلار، مج. ١ (الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٧): ٣٢.

(٢) أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، **تأويل مختلف الحديث**، تحقيق محمد محيي الدين الأصفر، ط. ٢ (بيروت: المكتب الإسلامي؛ الدوحة: دار الإشراق، ١٩٩٩): ٤٠٤-٤٠٥.

(٣) جعفر بن الحاج السُّلَمي، **الأسطورة المغربية: دراسة في المفهوم والجنس**، الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية (تطوان: مطبعة الخليج العربي، ٢٠٠٣): ٦٠-٦١.

هذا التراث دفعًا شديدًا، ويعده من المنكر العقدي، أو «أحاديث منكرة»، ثم تزييف الأحاديث تزييفًا يراعي الأصل مراعاةً تزيد أو تنقص، وإن كانت لا تخفى عن «النقاد» من المحدِّثين من أهل السنة، قبل أن تخفى عن «النقاد» من أهل الأدب. يقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩-٨٩٠م):

«والقاصُّ يروي للعوام الأحاديث الـمُنكَرَة، ويذكر لهم ما لو شَمَّ ريح العلم ما ذكره، فخرج العوامُّ من عنده يتدارسون الباطل. فإذا أنكر عليهم عالم، قالوا: قد سمعنا هذا بـ «أخبَرَنا»، و«حدَّثَنا». فكم قد أفسد القُصَّاص من الخَلق بالأحاديث الموضوعة»[١].

إن هذا «الباطل» العقدي، لا ينجح في تزييف النصوص الدينية الـمُتنبِّئة بالمستقبل، إلا إذا وَظَّف سمة أساسية، هي سمة «الإغراب» على الواقف العامي، وهو بالضرورة غير مُستبِحر في علوم السنة، بما عنده من الخيال الواسع. فهم، حسب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠-١٢٠١م):

«قوم شقَّ عليهم الحفظ، فضربوا نَقْدَ الوقت. وربما رأوا أن المحفوظ معروف، فأتوا بما يُغرِب، مما يُحصِّل مقصودهم. وهؤلاء قسمان: أحدهما القُصَّاص. ومعظم البلاء منهم يجري؛ لأنهم يريدون أحاديث تُثقِّف وتُرقِّق، والصِّحاح يقل فيها هذا»[٢].

وهذا الخيال الواسع، يفارق الواقع وإمكانياته، ويفارق العقل وإمكانيات تصوره للمستقبل، فيصل إلى درجة «المحال» الشرعي والعقلي، الذي افتن فيه القُصَّاص افتنانًا، فَبَزّوا فيه «الزنادقة». يقول ابن الجوزي:

«وما أكثر ما يُعرَضُ عليَّ أحاديثُ في مجلس الوعظ، وقد ذكرها قُصَّاص الزمان، فأردُّها عليهم، وأُبيِّن أنها محال»[٣].

٣- الموقف السُّني من مُدوَّنات الأساطير الأخروية الأولى: كتاب الفتن لنُعَيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ/ ٨٤٣-٨٤٤م) نموذجًا

لم يكن نُعَيم بن حماد معدودًا من «الزنادقة» على الإطلاق، فلم يهاجمه مؤرخوه قط من هذا الباب، ولا كان من فئة «القُصَّاص» و«الشحاذين»، بتعبير ابن الجوزي. بل لم يخلُ أمره من توثيق

(١) ابن الجوزي، **كتاب الموضوعات**، مج. ١: ٨.
(٢) المرجع السابق: ٢٩.
(٣) المرجع السابق: ٤٤.

له، يرفعه إلى درجة ثقات المحدِّثين، بالرغم من وَهاءِ رواياته. فقد روى حماد حديثًا في فتنة أهل الرأي، أقلق المحدِّثين، فطفِقوا يلتمسون له المخارج والمعاذير، دون أن يحيلوه على فئة الضعفاء أو المتروكين، أو الزنادقة أو القُصَّاص، فيكونوا قد اتهموه في علمه أو دينه، أو أسقطوا مكانته:

«قال محمد بن علي بن حمزة: سألت يحيى بن مَعين عن هذا، فقال: ليس له أصل، ونُعَيم ثقة. قلت: كيف يُحدِّث ثقةٌ بباطل؟ قال: شُبِّهَ له»[١].

لقد كان نُعَيم في أول أمره معتزليًّا، أي رجلاً عقلانيًّا خصيمًا مبدئيًّا لأهل السنة، كما عند الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧-١٣٤٨م)[٢] ثم انتقل إلى مذهب أهل السنة. ولا ندري هل كان ذلك في شبابه، أم في كهولته، ولا لماذا، ولا كيف انتقل. ويظهر أن هذا الانتقال من مذهب عقلاني إلى مذهب نقلاني، أثر عليه تأثيرًا كبيرًا، فجعله لا يتقن «صناعة الحديث»، فأثار على نفسه عاصفة نقدية لكثرة ما كان عنده من الروايات الموضوعة «الـمُنكَرة». لقد نقل الذهبي أنه: «كان يُحدِّث من حفظه، وعنده مناكير كثيرة لا يُتابَع عليها»[٣]، وأن ابن معين «سئل عنه، فقال: ليس في الحديث بشيء. ولكنه صاحب سنة»[٤].

ذلك أن تسنُّنَه بعد الاعتزال، في وقت كان فيه أهل السنة أحوج ما يكونون إلى من يعزز صفوفهم، ولو كان كَلاًّ عليهم، والحال أن المعتزلة قد بلغوا الغاية في الجبروت السياسي، حتى تسببوا في تعذيب علماء أهل السنة كابن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥-٨٥٦م) وإعدامهم، والتضييق عليهم التضييق الشديد؛ كان أكبر شفيع له من تهمة «الزندقية» أو «القاصِّيَّة»، بالرغم مما جمع كتابه في «الفتن» من «المناكير». وكان موته في السجن[٥]، في محنة أهل السنة الكبرى[٦]، جُنَّةً له من كل تهمة لا تليق بمن عرَّض نفسه للاستشهاد من أجل مذهب أهل السنة. فكان هذا الاستشهاد

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرين، ط. ١١، مج. ١٠ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨): ٦٠٠، ترجمة ٢٠٩.

(٢) المرجع السابق: ٥٩٧، ترجمة ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق: ٦٠٥، ترجمة ٢٠٩.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق: ٦١١، ترجمة ٢٠٩.

(٦) عن هذه المحنة الكبيرة، انظر مثلاً: محمد عابد الجابري، **المثقفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل، ونكبة ابن رشد** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨): ٦٥-١١٥.

السياسي المذهبي، مدعاةً للتغافل عن أمره. فهو عند ابن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٨٤-١٤٤٩م) ناقلاً من مصادره السنية:

«قال مسلمة بن قاسم: كان صدوقًا، وهو كثير الخطأ. وله أحاديث مُنكَرة في الملاحم انفرد بها»[١].

وهو عند الذهبي: «نعيم من أكبر أوعية العلم، لكنه لا تركن النفس إلى رواياته»[٢].

يوازي هذا الموقف المجامل بعض المجاملة لنُعَيم، الـمُعَدِّل له، باصطلاح المحدِّثين، موقفًا متشددًا في تجريحه، يتراوح بين اتهامه بكثرة الخطأ، فتكون رواياته في «الفتن» و«مجازفاته» من الخطأ الكثير، البريء غير الـمُتعمَّد، وبين اتهامه بالوضع الصريح للحديث، دون أن يمس هذا عقيدته السنية في شيء، أو يخدشها، أو ينال من مكانته بين أهل السنة، مرورًا بمواقف متوسطة فيه:

فمن المواقف الهادئة منه، ما ورد عند الذهبي، من أنه «قال أبو زرعة الدمشقي: يصل أحاديثَ يوقفها الناس»[٣]، و«قال ابن يونس: وروى مناكير عن الثقات»[٤]. و«ذمه يحيى، وقال: يروي عن غير الثقات»[٥].

ومن المواقف المتوسطة، قول شمس الدين الذهبي فيه: «قلت: لا يجوز لأحد أن يحتج به. وقد صنف (كتاب الفتن)، فأتى فيه بعجائب ومناكير»[٦].

ومن المواقف المتشددة، ما ورد عند الذهبي، من أنه: «قال ابن حماد: ... كان يضع الحديث في تقوية السنة»[٧].

(١) شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، **تهذيب التهذيب**، مج. ٥ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١): ٦٣٧، ترجمة ٨٣١٠.
(٢) شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مج. ١٠: ٦٠٠، ترجمة ٢٠٩.
(٣) المرجع السابق: ٥٩٩، ترجمة ٢٠٩.
(٤) المرجع السابق: ٦١١، ترجمة ٢٠٩.
(٥) المرجع السابق: ٥٩٧، ترجمة ٢٠٩.
(٦) المرجع السابق: ٦٠٩، ترجمة ٢٠٩.
(٧) المرجع السابق.

إن التباس أمر نُعَيم، إذ كان من «أوعية العلم»، و«صاحب سنة»، داعيًا إلى نصرتها، متشددًا في ذلك، بل شهيدًا من شهدائها من جهة، وكان في الوقت عينه «يصل الأحاديث الموقوفة على الصحابة»، و«يروي المناكير عن الثقات»، و«يروي عن غير الثقات»؛ جعل المحدِّثين يقفون منه بسبب رواياته موقفًا وسطًا، فهم يقبلون الرجل في ذاته، ولا يقبلون رواياته في «الفتن» وغيرها. وهذا ما عبَّر عنه بعض المحدِّثين بقوله: «سمعت أبا عروبة يقول: كان نُعَيم بن حماد مُظلِم الأمر»[1].

لقد أُظلِم أمره إذن لأنه كان سنيًّا بذل نفسه لمذهب أهل السنة واسترخصها في نكبة أهل السنة الكبرى في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وفي المقابل كان يتصرف تصرف «القُصَّاص» و«الزنادقة» بوضع الحديث، أو تصرف «الضعفاء» و«المتروكين»، بالرواية عن غير الثقات، أو رواية المناكير عن الثقات. إن هذا يجعلنا نتساءل عن هُوِيَّة المؤلف لكتاب «الفتن»: فهل وضعه نُعَيم جملةً وتفصيلاً بأحاديثه الأربعة بعد الألفين، وهو عدد هائل ضخم، ما بين قصير وطويل طولاً نسبيًّا، أم نقله جملةً وتفصيلاً عن الوضَّاعين من زنادقة وقُصَّاص، أم مزج بين الأمرين، ففيه ما هو من خياله، وفيه ما هو من خيال غيره، وفيه كذلك ما هو مقبول على عِلاته أحيانًا عند المحدِّثين المعترف بهم؟ لعل هذا هو الراجح، وأن كتابه، كتاب «الفتن» هذا، هو أقرب إلى مدونة جماعية.

وعلى كل حال، فقد أعرض أهل السنة عن كتاب «الفتن» باعتباره كتابًا في السنن أو الأحاديث الموثوقة على العموم، واطَّرحوه اطِّراحًا. قال الذهبي: «لا يجوز لأحد أن يحتج به. وقد صَنَّف كتاب الفتن، فأتى فيه بعجائب ومناكير»[2].

بل تجاوز الأمر خصوص كتاب «الفتن» إلى عموم الجنس الأدبي الديني الروائي السردي الذي يمثله، أي جنس «الملاحم»، من باب تسمية الكل بالجزء، أو ما يلزم منه، وجنسين آخرين سرديين قريبين منه، يتضمنان هما أيضًا أساطير من أنواع أخرى؛ أغلبها الأساطير التكوينية والعجائبية. فهذا ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) يقول: «ومعلوم أن المنقول في التفسير، أكثره كالمنقول في

(١) أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة، مج. ٨ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧): ٢٥١، ترجمة ١٩٥٩.

(٢) شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، مج. ١٠: ٦٠٩، ترجمة ٢٠٩.

المغازي والملاحم. ولهذا قال الإمام أحمد: ثلاثة أمور ليس لها إسناد: التفسير، والملاحم، والمغازي. ويُروى: «ليس لها أصل»، أي إسناد، لأن الغالب عليها المراسيل»[١].

وقبله فسر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠-١٠٧١م) قول الإمام أحمد، بقوله: «قول الـمَيموني: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير. قال الخطيب في (جامعه): وهذا محمول على كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة، غير مُعتمَد عليها، لعدم عدالة ناقليها، وزيادات القُصَّاص فيها. فأما كتب الملاحم، فجميعها بهذه الصفة. وليس يصح في ذكر الملاحم الـمُرتقَبة، والفتن الـمُنتظَرة، غير أحاديث يسيرة»[٢].

فهل كان أحمد بن حنبل يقصد كتابًا في الفتن والملاحم غير كتاب نُعَيم بن حماد، والحال أنه أقدم ما دَوَّنه أهل السنة في هذا الجنس من الكتابة، بغثّه وسمينه، والحال أيضًا أنه معاصره وقسيمه في محنته؟!

لقد سبق نُعَيم إلى الكتابة في موضوع الفتن والملاحم، ولا شك، قبل أن يُهرَع الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩-٨٧٠م) ثم الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤-٨٧٥م) إلى الكتابة فيه، من باب تجريد الحديث الصحيح وإفراده بالتدوين، وفصل المعرفة الدينية المقدسة عن تراث القُصَّاص والزنادقة، ثم الضعفاء والمتروكين الذين عملوا على تزييف النصوص الدينية المقدسة، وقبل أن تُدوَّن مقاييس توضيع الحديث، ولا سيما أحاديث الفتن والملاحم. وهذا ما سوف نرجع إليه.

٤- أدبية الأساطير الأخروية، من منظور نظرية الأدب ونظرية السرد

ليس عملنا هذا بالتأكيد أول نقد متني أو بنيوي تعرضت له الأساطير الأخروية. فقد انتبه القدماء إلى ضرورة تمييز الأحاديث الصحيحة عن الأحاديث الزائفة التي كثير منها أدب أسطوري، واستعملوا مفاهيم نقدية متنية يجدر بنا أن نستثمرها في تطوير نقد أسطوري عربي معاصر للأساطير الأخروية. صحيح أن غاية المحدِّثين من نقدهم هذا كانت منبثقة من صميم

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، تحقيق عدنان محمد زرزور (الكويت: دار القرآن الكريم؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢): ٥٨-٥٩.

(٢) نور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، **الأسرار المرفوعة، في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى**، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦): ٣٨٢.

الرؤية الدينية السنية، وهي رؤية أيديولوجية، ولكنهم بالتأكيد يقدمون لنا «مواد نقدية» تعيننا إذا وظفناها على وصف الأساطير الأخروية وصفًا منبثقًا من نظرية الأدب، على الأعم، ونظرية السرد على الأخص.

أ- التزييف

هذه الأساطير الأخروية تدخل في نطاق مفهوم «الزيوف»، أي الأحاديث المُفتعَلة افتعالاً، والتي أنشأها وضَّاعون معروفون أو مجهولون، وهو المفهوم الـمُخالِف لمفهوم «الأحاديث الصحيحة»، وما ينحاش إليها من أحاديث حسنة أو ضعيفة. وقد استعمل ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠-١٢٠١م) هذا الاصطلاح. يقول: «ولا يسع الناقدَ في دينه أن لا يُبيِّن الزيوف من غيرها»[١]. والناقد هنا هو المحدِّث عند ابن الجوزي.

إن تزييف الأحاديث الأخروية بنسبتها من حيث السند، إلى مصدر القداسة الثاني، أي النبوة المحمدية، أو «السلف الصالح»، أي الجيل المقدس من صحابة أو تابعين، وبالاجتهاد في إبداعها إبداعًا يحاكي النصوص المقدسة من حيث المتن؛ هو ما يجعلها تقوم بوظيفتها في تشكيل رؤية المسلم العامي للمستقبل، وتخصيب خياله، وتخويفه منه، بل إرعابه. وإذا كانت الأساطير مقدسة عند المؤمنين بها، فإن كونها «زيوفًا» يجعلها تفقد صفة القداسة، عند علماء الدين بالضرورة، وعند الباحثين في العلوم الإنسانية، فتصير «مردودة» بتعبير الفيروزآبادي، (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤-١٤١٥م) إذ يقول: «صارت مردودة لغش»[٢].

نضرب مثلاً لهذا بما جاء عند نُعَيم بن حماد قوله: «حدثنا عُبيد بن واقد القَيسي، عن محمد ابن عيسى الهُذَلي، عن محمد بن الـمُنكَدِر، عن جابر بن عبد الله، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خلق الله تعالى ألف أمة، ستمائة في البحر، وأربعمائة في البر. وأول شيء من هذه الأمم هلاكًا الجراد. فإذا هلكت، تتابع مثل النظام إذا قُطِع سلكه»[٣].

(١) ابن الجوزي، **كتاب الموضوعات**، مج. ١: ٤٣.

(٢) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، مج. ٣ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥): ٢٠٢، مادة زاف.

(٣) أبو عبد الله نُعَيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي المروزي الفرضي الأعور (ت ٢٢٨هـ)، **الفتن**، تحقيق أبي عبد الله أيمن محمد محمد عرفة (القاهرة: المكتبة التوفيقية، [--١٩]): ١٩٢-١٩٣، ترجمة ٦٧٧.

لقد اتخذ هذا النص كل مكونات وسمات النص الحديثي المقدس، فهو منسوب إلى النبي بسلسلة سند على طريقة المحدِّثين، وفيه تنبؤ بالغيب والمستقبل، وما يكون في آخر الزمان، وفيه تنبؤ بحدث خارق أكبر، هو فناء العالم، وحدث خارق أصغر، هو فناء الجراد، هذه الحشرة المحقورة في شكلها. وكل هذا حتمي ومقدور، ولا مفر منه. وهذا الحدث الخارق الأصغر، أمارة على بداية وقوع الحادث الخارق الأكبر، أي أمارات الساعة الكبرى. إن التزييف هنا قد بلغ منتهاه، وجاز أن يشتبه الأمر على المتلقي المسلم المؤمن السني العام، لولا تصريح المحدِّثين بكونه من «الزيوف»، أي نصًّا صيغ صياغة النصوص المقدسة الأصلية، وحاول أن يحاكيها في كل شيء.

ب- المُحال

يهيمن في هذه النصوص أو الأحاديث «الزيوف»، ما سماه ابن الجوزي بـ«المحال»، وجعله مقياسًا لفرزها عن الأحاديث الصحيحة. يقول: «إن الرسول ﷺ قال: عليكم بسنتي. والمحال ليس من سنته»[١].

وقد جاء في أقدم معجم عربي: «والمحال من الكلام: ما حُوِّل عن وجهه. وكلام مستحيل: محال»[٢].

إن المحال هو ما تضمن التناقضات من منظور عقلاني. إنه ما عبَّر عنه الكَفَوِي (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣-١٦٨٤م) بقوله: «ما اقتضى الفسادَ من كل وجه، كاجتماع الحركة والسكون في شيء واحد، في حالة واحدة...»[٣].

إن سمة المحال هذه، سمة مُهيمِنة في النص وهي تعادل سمة «الباطل» أو «شبه الباطل»، كما سماها ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١-١٣١٢م) ودرسناها نحن[٤]. إن هذا «المحال»، هو ما يُعبِّر عنه

(١) ابن الجوزي، **كتاب الموضوعات**، مج. ١: ٤٤.

(٢) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري الأزدي اليحمدي (ت ١٧٠هـ)، **كتاب العين**: **مرتبًا على حروف المعجم**، تحقيق عبد الحميد هنداوي. مج. ١، أ-خ (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣): ٣٧٤.

(٣) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي (ت ١٠٩٤هـ)، **الكليات**: **معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١١): ٧٣٣.

(٤) ابن الحاج السُّلَمي، **الأسطورة المغربية**: ٦٠-٦١.

أيضًا بالمجازفة. فحضور هذه «المجازفات» في النص الحديثي، مدعاة إلى اعتباره من الأحاديث «الزيوف»، بتعبير ابن الجوزي، وهو مجال عملنا، ومرآة الأساطير العربية الأخروية. فمقياس المجازفة عند ابن القيم (ت ٧٥١هـ/ ١٣٤٩م) مقياس مُعتمَد في التصحيح والتزييف. يقول: «هذه المجازفات، التي لا يقول بمثلها رسول الله ﷺ»[١].

إن أصل المجازفة هو «الحدس في البيع والشراء»[٢]. أي عدم الضبط في الصفقة التجارية، وذلك بـ «بيع مجهول الكيل أو الوزن»[٣]، كما عند عبد الرحيم المناوي (ت ٩٥٢هـ/ ١٠٣١-١٠٣٢م).

إن عدم الضبط هذا هو «المجازفة، وهي الـمُساهَلة»[٤]. إن المجازفة في هذه الحالة، تَساهُل كبير في الرواية، يدعو إلى الشك ثم الرد، مبني على رواية «المحال»، أو ما لا يقبله العقل. ويكون ذلك «المحال»، أو المجازفة، إما داخل النص الأسطوري الواحد، أو بين نصين اثنين عند المقارنة.

إن هذا «المحال»، أي ما يحيله العقل ولا يقبله، أو «المجازفات»، يُعبَّر عنه كذلك بأنه الحديث الذي «يُكذِّبه النظر»[٥]، بتعبير ابن قتيبة، عند حديثه عن «قصة» عُوج بن عُناق، أو بتعبير علي القاري، الحديث الذي «تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه: كحديث عُوج بن عُنُق الطويل، الذي قصد واضعه الطعن في أخبار الأنبياء»[٦]، أي أسطورة عُوج بن عُناق، بتعبيرنا المعاصر. إن هذه الشواهد الصحيحة، أو النَّظَر، هي «شواهد» العقل القديم في مقاومة هيمنة الأسطورة، حتى وإن لم يفصل النقاد من المحدِّثين في كيفية «إبطال» العقل للأسطورة.

ج- التأريخ

إن توظيف التأريخ، ليس سمة عامة في الأساطير الأخروية، بل هو قليل بعض الشيء. إن هذه السمة الموجودة في بعض الأحاديث، أمارة على وضعها، ومدعاة إلى رفضها عند المحدِّثين جملةً

(١) الملا علي القاري، **الأسرار المرفوعة**: ٤٠٦.

(٢) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**: مج. ٣: ١٦٥.

(٣) زيد الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت: دار الفكر المعاصر؛ دار الفكر، ٢٠٠٢): ٢٤١.

(٤) المرجع السابق.

(٥) ابن قتيبة، **تأويل مختلف الحديث**: ٤٠٣.

(٦) الملا علي القاري، **الأسرار المرفوعة**: ٤٢٥.

وتفصيلاً. لقد سماها علي القاري بـ «أحاديث التواريخ الـمُستقبَلة»[١]، وعنده أن «أحاديث هذا الباب، كلها كَذِب مفترى»[٢]. فلنضرب المثل على «أحاديث التواريخ الـمُستقبَلة»، بما في النص الآتي:

«حدثنا نُعَيم، قال: حدثنا رُشدين عن معاوية بن صالح، قال: حدثني بعض الـمَشيَخَة، أن رسول الله ﷺ قال: إذا أتى على أمتي خمس وعشرون ومائة سنة، كانت الملاحم، وكل ما يُذكر في آخر الزمان»[٣].

إن أساطير «التواريخ الـمُستقبَلة»[٤]، لا تتحدث في واقع أمرها أحيانًا عمَّا سوف يكون في آخر الزمان، بقدر ما تُؤرِّخ ما كان في بداية «آخر الزمان»؛ إذ إنها تتحدث في الواقع عن الماضي وما ظهر فيه من الفتن والملاحم، في صيغة تنبؤ بالمستقبل. وفي حالة هذا النص، تعكس هذه الأسطورة الأخروية المستقبلية، ولا شك، بداية انهيار دولة الأمويين.

وإذا لم تكن الأسطورة الأخروية، أو «الـمُستقبَلة» مُحدَّدة بالسَّنة واليوم، فإنها تُؤرِّخ نفسها على وجه التقدير المضبوط، فنجد مثلاً: «حدثنا نُعَيم، قال: حدثنا رُشدين عن ابن لُهَيعة، عن قيس بن شُرَيح، عن حَنَش الصَّنعاني، عن ابن عباس قال: أجل أمة محمد ﷺ ثلاثمائة سنة، كبني إسرائيل». وهو ما يعني بالتقدير فناء المسلمين أو هلاكهم على رأس سنة ثلاثمائة هجرية، من مبعث النبي ﷺ أو وفاته.

٥- الفتنة: المفهوم المركزي في الأسطورة الأخروية

إن فكرة فساد الزمان، وهي فكرة مركزية في الثقافة الإسلامية، تقتضي أن أفضل الأزمان هو الزمن المقدس؛ زمن النبوة والسلف الصالح، وبعدها يَفسُد الزمان، ويصير زمنًا مدنَّسًا، بكثرة الفتن وما تَستَتبِع من الملاحم، إلى أن يأتي الأبطال الموعودون في أشراط الساعة الصغرى، كالمهدي والسُّفياني، ثم تظهر علامات الساعة الكبرى، أو «أشراطها» المذكورة في القرآن وغيره، كخروج

(١) المرجع السابق: ٤٥٠.
(٢) المرجع السابق: ٤١٨.
(٣) نُعَيم بن حماد، **الفتن**: ٥٠١، ترجمة ١٩٤٥.
(٤) الملا علي القاري، **الأسرار المرفوعة**: ٤٥٠.

الدابَّة ويأجوج ومأجوج، ثم تقوم الساعة. إن فساد الزمان، لا يكون إلا بكثرة الفتن. وهذا ما يفسر إفراد نُعَيم لكتاب خاص فيها. فالفتنة عند عبد الرؤوف المناوي (ت ٩٥٢هـ/ ١٠٣١-١٠٣٢م) «البلية. وهي معاملة تُظهِر الأمور الباطنة. ذكره الحرالِّي. وقال الراغب: ما يتبين به حال الإنسان من خير أو شر»[١].

إن كتاب «الفتن»، هو في واقع أمره، كتاب البلايا والمحن الـمُتوقَّع حدوثها في آخر الزمان، قبل أن تظهر أشراط الساعة الكبرى، أي الأحداث العنيفة جدًّا والقاسية. يَتتبَّع الكَفَوِي في «الكُلِّيَّات»، مفهوم الفتنة، في مرجعيته القرآنية، فيجد له ستة عشر مفهومًا جزئيًّا. فيقول:

«الفتنة: ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر... والفتنة أيضًا: الشرك ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾، والإضلال ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾، والقتل ﴿أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، والصد ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ﴾، والضلالة ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ﴾، والقضاء ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾، والإثم ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾، والمرض ﴿يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ﴾، والعبرة ﴿لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ﴾، والعفو ﴿أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾، والاختبار ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾، والعذاب ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾، والإحراق ﴿هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾، والجنون ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾. قيل في قوله تعالى ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾: إن المراد النفي عن البلد»[٢].

إن كثيرًا من هذه المفاهيم الجزئية وارد ورودًا لافتًا في أساطير كتاب «الفتن» الأخروية، ولا سيما الإضلال، والقتل، والقضاء، والإثم، والمرض، والعبرة، والاختبار، والعذاب، والإحراق، والجنون، والنفي. فالسُّفياني والدجال وغيرهما مثلاً يَفتِنون الناس بإضلال أتباعهم، ثم بقتل المؤمنين القتل الجماعي الشامل الذريع، وفتنتهم قضاء وقدر لا مناص منه، أَحَبَّ المؤمنون أم كرهوا، وما يرتكبون من القتل أو «الملاحم»، وغيرها من الفساد، هو إثم كبير في الأرض، وعبرة للمؤمنين، واختبار لهم ولصبرهم على الابتلاء الإلهي بأشد ما يكون من العذاب في الدنيا، وهم أحياء، قبل أن يَرِدوا الآخرة بعد بعثهم، ولا سيما بقتلهم وإحراقهم، وأقل العذاب نفيهم أو نزوحهم من أراضيهم.

(١) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**: ٥٤٩.
(٢) أبو البقاء، **الكليات**: ٥٨٣.

ويتضمن مفهوم الفتنة الـمُتداوَل مفهومًا أخص منه، لكنه يرجع إليه دائمًا. فكل ملحمة هي فتنة. لكن العكس غير صحيح، إذ ليست كل فتنة ملحمةً بالضرورة، فـ «الملحمة: الحرب ذات القتل»[١]، و«الوقعة العظيمة في الفتنة»[٢]، و«القتال في الفتنة»[٣].

وقد يرد مفهوم الملحمة مرادفًا في الواقع لمفهوم «الفتنة» الأخروية، فنجد ابن حنبل يقول: «ثلاثة كتب ليس لها أصول: المغازي، والملاحم، والتفسير»[٤]. أو مساوقًا له عند الخطيب البغدادي، إذ يقول: «وليس يَصِحُّ في ذكر الملاحم الـمُرتقَبة، والفتن الـمُنتظَرة، غير أحاديث يسيرة»[٥].

وكثيرًا ما تُستعمَل في صيغة الجمع، فعند نُعَيم بن حماد: «بقيت من الملاحم واحدة»[٦]، و«مَعقِل المسلمين من الملاحم دمشق»[٧]. ويُستعمَل أحيانًا مرادف لمصطلح الفتنة، وهو الهرج. أي «الفتنة والاختلاط... وفسره النبي ﷺ في أشراط الساعة بالقتل»[٨].

وعند نُعَيم بن حماد، قد نجد - على قلة - استعمال هذه الكلمة، ففيه: «ويل لهم من هرج عظيم الأجنحة»[٩]. وقد يُدرَج مفهوم الفتنة، وما يتضمنه من ملاحم وهرج، ضمن مفهوم أوسع وأشمل، أي مفهوم أشراط الساعة. فعند نُعَيم بن حماد: «إذا رأيت العرب تهاونت بأمر قريش... فقد غشيتك أشراط الساعة»[١٠].

(١) الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، مج. ٤: ٧٧.
(٢) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، مج. ١٢ (بيروت: دار الفكر، د.ت.): ٥٣.
(٣) زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، **مختار الصِّحاح**، تحقيق يوسف الشيخ محمد (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٩٥): ٢٨٠.
(٤) الملا علي القاري، **الأسرار المرفوعة**: ٣٨٢.
(٥) المرجع السابق.
(٦) نُعَيم بن حماد، **الفتن**: ١٨٠، ترجمة ٦١٧.
(٧) المرجع السابق: ٢٠٢، ترجمة ٧١٧.
(٨) زين الدين الرازي، **مختار الصِّحاح**: ٣٢٥.
(٩) نُعَيم بن حماد، **الفتن**: ١٦٦، ترجمة ٥٥٦.
(١٠) المرجع السابق: ١٩٨، ترجمة ٧٠٠.

٦- من الأسطورة الأخروية إلى الأسطورة الجفرية والحِدثانيَّة: نهاية أم تطور؟

كان النشاط الهائل للمحدِّثين في تدوين الحديث، غثّه وسمينه، في مدونات كثيرة، واعتناؤهم البالغ بتوثيقه وتمييز مراتبه من صحيح وحسن وضعيف وموضوع، مدعاةً لتوقف حركية الأساطير الأخروية، في الظاهر على الأقل، ابتداءً من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي؛ لأن منطق الأشياء يفترض أن الحديث النبوي قد جُمِع ووُثِّق، وكذلك «آثار السلف»، وأن لا سبيل إلى رواية «أحاديث فتنية» غير التي في أيدي المحدِّثين كأصحاب الكتب الستة والمتخصصين في «الموضوعات» كابن الجوزي، الذين استوعبوها تدوينًا في القرن الثالث وبعيده. وفضلاً عن هذا، فإن حركة «الزنادقة» كانت قد انقطعت في هذا القرن، بانتصار أهل السنة عليهم وعلى المعتزلة في هذا القرن نفسه، ولم يبقَ إلا القُصَّاص ونشاطهم.

بل لقد تعرضت كتب الفتن إلى نقد عنيف من النقلانيين أهل السنة أنفسهم. فهذا ابن دِحيَة السَّبتي (ت ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥-١٢٣٦م) ينتقد «كتاب الفتن» لأبي عمرو الداني، المقرئ الشهير (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢-١٠٥٣م) فيقول: «كتاب «السنن الواردة بالفتن وغوائلها، والأزمنة وفسادها، والساعة وأشراطها»، وهو مجلد مَزَجَ فيه الصحيح بالسقيم، ولم يُفرِّق فيه بين نَسْرٍ وظَليم. وأتى بالموضوع، وأعرض عمَّا ثبت من الصحيح المسموع»[١].

فكان هذا النقد النقلاني الشديد إيذانًا ببوار هذا الجنس السردي العربي القديم، الذي نشأ ابتداءً من نهاية القرن الأول، لما ضمَّنه المؤلف فيه، وهو أبو عمرو الداني، «من الملاحم، وما كان من الحوادث وسيكون، وجَمَعَ فيه التنافي والتناقض بين الضَّبِّ والنون، وأغرب فيما أغرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون. وفيه من الموضوعات، ما يُكذِّب آخرُها أولَها، ويتعذر على الـمُتأوِّل لها تأويلُها، وما يتعلق به جماعة الزنادقة من تكذيب الصادق المصدوق، محمد ﷺ»[٢].

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرْح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، **التَّذكِرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**، تحقيق فوّاز أحمد زمرلي، مج. ٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧): ٢٩٣.
(٢) المرجع السابق: ٢٩١-٢٩٢.

وقد انتقد سمة «الإغراب» و«التناقض» فيها، بانتقاده أسطورة الدابَّة ويأجوج ومأجوج[١]، والتأريخ للفتن[٢]، و«التفاصيل الباطلة، والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة»[٣].

بيد أن بوار هذا الجنس الأسطوري في صورته الأولى، كان إيذانًا بظهوره من جديد وانبعاثه في جنس أسطوري آخر حل محله، هو جنس الأساطير الجفرية الحِدثانيَّة، وهو جنس سردي أسطوري كذلك، شبيه بجنس الأساطير الأخروية، ومتطور ومتفرع منه، قد سبق لنا أن درسناه في بحث سابق عنوانه: «الأدب الجفري الملحمي والفتني نوعًا أسطوريًّا: مدخل إلى مضمرات خطابه»[٤].

إن كتاب الجفر «كان أصله، أن هارون بن سعيد العجلي، وهو رأس الزيدية، كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص...»[٥].

بيد أن الأسطورة الجفرية التي تطورت من أصلها الشيعي، صارت أسطورة سنية تتنبأ بالمستقبل في صور عديدة:

«وأكثر ما يعتني بذلك ويتطلع إليه الأمراء والملوك في آماد دولتهم. ولذلك انصرفت العناية من أهل العلم إليه. وكل أمة من الأمم يوجد لهم كلام من كاهن أو مُنجِّم أو وَلِيٍّ في مثل ذلك، من مَلَكٍ يرتقبونه، أو دولة يُحدِّثون أنفسهم بها، وما يَحُدث لهم من الحرب والملاحم، ومدة بقاء الدولة، وعدد الملوك فيها، والتعرض لأسمائهم، ويُسمَّى مثل ذلك الحِدْثان»[٦].

وانتقل مصدر الإلهام في الأسطورة الجفرية من «آل البيت» وما لهم من قداسة في نفوس المسلمين السنيين والشيعة على السواء بالتدريج، إلى «الـمُنجِّمين» وما عندهم من العِلم المستقبلي. يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):

(١) المرجع السابق: ٢٩٤.
(٢) المرجع السابق: ٣١١.
(٣) المرجع السابق: ٣١٠.
(٤) محمد مِشبال، **بلاغة الخطاب الديني**، معالم نقدية (الرباط: منشورات ضفاف، ٢٠١٤): ٣٤٧-٣٨٦.
(٥) ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي (ت ٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق وتعليق علي عبد الواحد وافي، ط. ٣، مزيدة ومنقحة، مج. ٢ (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٨١): ٨٢٨-٨٢٩.
(٦) المرجع السابق: ٨٢٢.

«وأما بعد صدر المِلَّة، وحين عَلَّق الناس على العلوم والاصطلاحات، وتُرجِمت كتب الحكماء إلى اللسان العربي، فأكثر مُعتمَدهم في ذلك كلام الـمُنجِّمين في الـمُلْك والدول، وسائر الأمور العامة من القِرانات، وفي المواليد والمسائل، وسائر الأمور الخاصة من الطَّوالع لها»[1].

وبهذا التطور في ظاهر الأسطورة الأخروية، خَلَفَتْ الأسطورة الجفرية الحِدثانيَّة الأسطورة الفتنية، لكن باطنها لم يتغير. فالأساطير لا تفنى ولا تتلاشى، ولكنها تتطور.

(١) المرجع السابق: ٨٢٣.

الملحـق

نصوص فتـنية جفرية ملحمية

تنبيه

هذه الملحقات، نصوص جفرية متناثرة، أو نصوص تتحدث عنه، وجدناها في المصادر، بعض منها أصلي، وبعض منها مُختصَر، وبعض منها مُتحوِّل إلى شعر، وبعض منها مُترجَم بترجمتنا من الإسبانية القديمة عن الأصل العربي الأندلسي، وراجعه زميلنا المختص بالدراسات الإسبانية الدكتور مصطفى عديلة. وقد أوردناها دون اعتبار ترتيب معين، تعميمًا للفائدة، لـمَّا كان هذا الأدب الجفري الملحمي مجهولاً ومهملاً تمامًا. فوجب التنبيه.

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو النظم العجيب، الذي نَظَمَه سيدي زيد الكَركالِي، غفر الله له، ونصه[١]:

آه كم أنتظر الموعود به في الإخبارات التي وعد بها النبي الحق، وهو عند الله مكتوب. وهو الذي أُوحِي له به، لا بلسان الناس، وكُشِف له. ولن يَنقُص [هنا] حرف من قضاء ربنا الكريم، وسوف يقع كما يقول الله. عن أهل العهد التاسع أُحب أن أتكلم، الذي رغِب صاحب الشريعة ﷺ مرات متعددة إلى الله في أن يرحمهم. فاستجاب الله دعاءه، وتحقق الدعاء.

أيها السادة. أحب أن أُفصِّل ما أخبر به النبي ﷺ عن الجزيرة الـمُكتنَفة بالبحار، التي هي جزيرة الإسبانيين، التي ظهر حكمها فيما أخبر به، وبما أخبر به الأنبياء والأولياء، وهو مكتوب

(١) هذه الجفور الأندلسية، واردةٌ في كتاب، انظر: لويس دي المرمول كربخال، **تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غَرناطة**، ترجمة وتقديم جعفر ابن الحاج السُّلَمي، مراجعة مصطفى عديلة، مج. ٢ (تحت النشر).

كتابة عجيبة في بشارة قديمة، حُفِظ فيها الدين، وفي كلام عليّ [كرم الله وجهه] الذي أخبر بما سيقع إلى الآن. وكلهم رَوَوه، وتبين لهم أنه هو ما أخبر به حُذيفة، وعنه تواتر.

وكذلك يُقرَأ برواية الصحابي، ودانيال [عليه السلام] لأن الذي قاله عليّ، لا شك فيه. فكل الناس يصدقونه، وعنه قُرِئت ملاحم عظيمة، وقعت كما قال.

وقد قال، وهو يذكر الغرب والأندلس، في بعض كشوفاته: إنه لا بد من أن يملكهما الكفار. وهذا مؤكد أنه وقع كما ذَكَر، وكل الناس رأوه: فمنهم أهل العقول الراجحة، ومنهم الذين عندهم النِّذارات بما سيقع. ففي عام ٩٦، سوف يُفتحان من جديد بالكلية، وسوف تَعمُر كل مدنهما، ويقوم فيها أمير. وقبل أن يُشرَع في هذا، سوف يذهب كل أهل المدن لتعمير البوادي برأي العامة، وسوف يحرثون الأرض، وسوف يكون وقت ذلك عندما يظهر نَجم مُذَنَّب يُرهص بالخير والحرية. وسوف تهدأ الفتن، ويخرج أهل مكة، ويجيء عدوٌّ أشداءُ أراضيَ الخراج، الذين هم في المشرق من ممالك اليمن، ويفتح أرض سَبتَة وقصر المجاز وطنجة، وأرض السودان، وبجيوش عظيمة من الترك، سوف يَهبِط إلى الغرب، ويغزو سكانه، وهم قوم ظُلاَّم وكفار، يعبدون آلهة كثيرة. وسوف ترجع كل المملكة إلى طاعة رسول الله ﷺ ويُعظَّم الدين. وسوف تملك الأمة التي تعبد إلاهًا واحدًا جَبَلَ طارق، الذي منه كان أصلهم ودخولهم، وإليهم سوف يرجع.

وفي الدور العاشر، ستتحقق سعادتنا. وما سوف يكون فيها من مشقة، سيكون على اليهود. وسوف يصيب العِرق اليهودي الملعون، والذين يعبدون الأصنام مصائب عظيمة. وسوف يظهر في الغرب آيات عظيمة، وفي أرض السِّند في المشرق، وفي أرض عَزازات. وبالنصر والمجد سوف يذهب الهَرْج والمرْج.

من هنالك، من [أرض] تيمور، وهي بلاد في المشرق، ومن إقليم الشام، يجيء الفاتح إلى قلعة النساء، ويجيء معه قُوّاد كبار من البربر: الشريف، وحَيْدر، وزيد الأسود، ويحيى الفريد، وعبد السلام (أبو عبد السلام) الذي سوف يتراءى بين الناس جميعًا بذراعه العاري.

وسوف تكون عقوبة غَرناطة، قصة مدهشة؛ لأن ديارها سوف تبقى عند الفتن قاعًا صفصفًا، لأجل ما سوف يُعمَل فيها من الضرب بالحديد، والكذب والخداع، إلى أن يوشك أن يفنى القوم من أهل البلد بأمر من الكفار. وعندما تستولي الخمر على عقول الحكام، عندئذٍ يأمرون بتسوية القرى

بالأرض. وفي الأخير، سيجنح كل الناس إلى السِّلم. وفي عقود السِّلم هذه، سوف تضيع بلدات كبيرة وقلاع بالخيانة. وفي عام ٩٢، و٩٣، سوف تُرى جماعات كبيرة على قسمين.

وسوف تضيع مالَقَة تمامًا. ولن تكون هي وحدها الضائعة، بل كل المدن؛ لأن القيام لأجل الشهرة يُضيِّع الممالك. والذين لا يتصرفون في حذر، فسوف تلازمهم كل تعاسة وحسرة.

ففي هذه الجماعة المحاربة من الناس، سوف يُعدم الإيمان، ويكون الدين مخذولاً. فيصير العلماء هُزُءًا عند جميع الناس، وسوف يشتغل الولاة بإخراج الناس من قُراهم، وبتسوية الأمكنة بالأرض مع ضياع الجِبايات، دون أن يستطيعوا الهجوم على إفريقيا، فيتركوها وراءهم.

وبعدئذٍ، سوف تقع للكَفَرة حرب، وفي مملكة غَرناطة، لن تبقى قرية. وعلى مدى عام، سيكثر الشِّقاق، ولن يُفلِت إلا عدد قليل من النَّصَب وانكسار القلب، وسوف يكون الـمَوَتان. فانتظروا مُلْكَ وانتصارَ الغرب، من أهل المغرب، لأن ما قاله النبي الحق ﷺ فلا بد من أن يُرى في الناس. [قال]: «سيهربون من البلدات. وعندما يضل الابن العاق، عندئذٍ تَحسُن الأسفار. وحينما يجيء أمر الله بالليل قبل النهار، سيستعد البحر، حتى تجري فيه السفن من غير بأس». وما أوحى الله به، لم يُخلَف ولن يُخلَف.

وسوف يفتح دينُ المسلمين أقاليمَ النصارى. وعندما يَملِك الأحدب، فسيكون الإسلام دائمًا في نقصان. وسوف يأتي السودان لفتح سَبتَة وأراضي مُرسِيَة، وسوف يبني اليهود قلعة الحمَام. وسوف يسير الترك بجيوشهم إلى رُومِيةَ، ولن يفلت من النصارى إلا من رجع منهم إلى دين النبي ﷺ. ويصير الباقون أسارى وأمواتًا. وهذه الرَّجعَة لا بد من أن تكون في الغرب، وجنوبًا وفي بلاد السودان. وسيظهر هذا الأمر في كل الممالك، ومن بلاد التِّبر، سوف يخرج الغزاة للكفار.

ويذكر أكثر: «يا جبل طارق. إن دخولك وفتحك هما الافتتاح الحقيقي. فاعلموا من هذا أنه لن يبقى في سَبتَة وطنجة والقصور وفي كل أنحائهن غُصن. وسوف تُفتَح، وأن جزيرة إسبانية [الأندلس] ومالَقَة، سوف يعاد بناؤها في هذه الرَّجعَة، وسوف تكون سعيدةً بدين المسلمين، وأن في بِلِّش والـمُنَكَّب، سوف يُنكَّس استكبارهم بالكفر، وفي قُرطبة، تُنكَّس عيوبهم وخطاياهم، وأن المؤذِّنين سوف يُسكِتون ناقوسهم، ولا بد ولا بد. فيخرج الكفر من إشبيلية، وسوف يُرمَّم الخراب الذي لحق بها في وقت ضياعها بظهور المؤمنين.

وسوف تتحقق نبوءة النبي دانيال [عليه السلام]، الذي أخبر بأنه لا بد من انعتاقها، بعد خسارتها على يد مَلِك طاغية. وقد رأينا خروجه. فادعوا الله أن يتحقق فيها ما هو مذكور. قال الله تعالى في كتابه الكريم: «أفلعلَّكم لم تروا النصارى يَغلِبون في أقصى الأرض. وبعد أن يَغلِبوا، سيُغلَبون هم على قُربٍ في بضعة أيام فلله هذا الأمر. فَمِن قبلُ ومن بعدُ، كان المؤمنون فِراحًا بالنصر. فهو من يؤيد من يَخدِمه. ولن يُخلَف مِن وعد الله شيء!»[1].

فأول العلامات، التي ستظهر في هذا الحِدْثان، يا سادة، ستكون علامةً كبيرةً جدًّا، وهو أن يظهر مُذَنَّب كبير جدًّا في وسط السماء، يضيء ضوءًا شديدًا. وبعده يَغلِب سلطان الترك مدينة بأهلها ومَلِكِها. وبعد هذا، وقريبًا منه، سيملك جزيرة رودَس الكبيرة. فإذ يملكها المسلمون على التأبيد، سيكون للنصارى انتصارات أخرى. وهو من العلامات الكبيرة التي ستكون في هذا الحِدْثان. وسوف تصل جيوشه وأهِلَّتُه إلى الأندلس، حتى إنهم سوف يقصدون القضاء على سكانها. ومِن فَزَعٍ سوف يرجع كثيرون إلى دينه.

بيد أنه بعد هذا، سيقوم من بينهم وَلِيٌّ حقيقي، يدعوهم إلى أن يقوموا بدين الله. وفور إذا يأتي هِلال الترك على النصارى، وعلى كل مدينة، وعلى كل مكان وكل قلعة. وسيكون قريبًا من هذا ثلاث ثورات:

فالأولى: ستكون نكسة وخسارة. والثانية: ستكون خداعًا وكَذِبًا، سيجعلهم على حدِّ الموت. والثالثة: ستكون كرامة ونعمة، وبابًا ومدخلاً لفتح كل المدن والممالك. وسيكون هذا القَطْع الذي سيقوم به الترك للنصارى، كبيرًا جدًّا حتى إنهم سوف يَدخُلون ويَفتَحون كل ممالكهم ومدائنهم، من البحر إلى دَيلان، إلى بحر سَمَرقَند، ولن يبقى لهم ذكر، ولن يُسمَع إلا عويلهم. وهكذا ستضيع هذه الجزيرة بأهلها، وسينزل أمر فتحها عليهم، كما ينزل ويتدفق المطر من السحاب. وسيصير كل سيد عبدًا. أرانا الله، سبحانه، هذه الأدلة. إنه هو الـمُعطي العَلِيّ.

(١) أصل الآيات، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦﴾، انظر: «سورة الروم»، **القرآن الكريم**: الآية ١-٦. ولننبه على أن هذا النص هو قصيدةٌ اقتبست هاتين الآيتين.

وأضاف المؤلف قائلاً في هذا: «حين يرعبك الوقت بالأعداء، ويجرح ضميرك، وبالشِّقاق بين أصحابك، ويحيط بك الخوف من كل جانب، فانتبه إلى صُنْع ربنا كيف يَحضُرُ بما ترغب فيه من حرية قريبة جدًّا، وتبدأ في الطلوع شُهُبُ ونجومُ السَّعد. وستأتيك رسائل الراحة والبشائر».

وريثما يكون ذلك، فلا تيأس، ففي باطن تدبير الله، وأشَدِّه خفاءً توجد عجائب وأسرار كبيرة. فإذا تقطع قلبك أثناء ذلك خوفًا، ولم تظهر لك علامات لما ترجوه، ولا سمعت أخبارًا عن الصاحب الذي تنتظره، فقل هكذا: «يا ربِّ. ارحمني برحمتك، وكن بي رءوفًا». ففي هذا سر عجيب؛ لأنه ما أكثر الشئون التي تضطرب لها القلوب، فيكون الأمر بعد ذلك فرحًا وراحة! فكثير من الأمور، بعد أن تَعظُم، تأتي من ورائها بالطُّمأنينة والراحة. وعندما يجيء ظلام الليل، تنكشف النجوم، وتظهر الشُّهب. ولأجل هذا، ليكن رجاؤكم في الله، واسعَوا إلى رحمته، وتلقَّوا في فرح ما كان قد قدَّره لكم بيده. وقولوا، وأنتم راضون بمشيئته: «رضيت يا ربي، بما قد قدَّرتَه عليَّ. فأنت العليم يا ربي بأمر الغيب».

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

يُروى في السِّيَر الفاضلة، أن رسول الله ﷺ كان يومًا قاعدًا بعد صلاة الظهر، يحدِّث أصحابه رضي الله عنهم. وإذ ذاك طلع ابن أبي طالب، وفاطمة الزهراء رضي الله عنها كذلك. ولما قعدا بحذائه، قالا له: يا رسول الله ﷺ أخبرنا كيف تصير الدنيا لأهل بيتك، في آخر الزمان، وكيف تفنى. فقال لهما:

تفنى الدنيا في الوقت الذي يكون فيه أفسق الناس وشر الناس. وبسرعة ستكون ذرية أهل بيتي، في جزيرة في آخر تخوم المغرب، تُسمَّى جزيرة الأندلس. وسيكون آخر سكانها من أهل بيتي. وهم يَتامى بيتِ هذا الدين، وآخر ذريته. فالله يرحمهم في هذا الوقت.

ولما قال هذا، اغرورقت عيناه بالدموع، وقال: «هم الـمُضطَهَدون، هم المكروبون. هم الـمُهلِكون أنفسهم، هم الـمُبتلَين، ممن قال الله فيهم: لا مكان يزول إلا بإذننا. فاقرأ إلى النهاية كل السُّنة المكتوبة في هذا، حيث يشير الله جل جلاله إلى هذا الذي ذكرت. وهذا سيكون لأجل النسيان الذي سوف يكون عند أهل الأندلس في شئون الدين، إذ يتَّبعون أهواءهم وشهواتهم، فيحبون الدنيا حبًّا جمًّا، ويتركون الصلوات، ويمنعون الزكاة ويجحدونها، ولا يلتفتون إلا إلى الفحشاء والفتن والقتل. فيكثر الكذب فيهم، ولا يُوقِّر الصغيرُ فيهم الكبيرَ، ولا يَرحَم الكبيرُ فيهم الصغيرَ، ويكثر فيهم الجَور والظلم والأيمان الباطلة، ويبيع ويشتري التجار بالربا والكذب والغش ما يبيعونه وما يشترونه. كل ذلك للطمع في تحصيل الدنيا، والطمع في نماء الأموال وادخارها، دون أن يبالوا كيف اكتسبوها، وما كسبوه هل اكتسبوه بوجه حق أو باطل.

ولما قال هذا، اغرورقت عيناه بالدموع ثانيةً وبكى، فبكينا جميعًا لبكائه. ثم قال: فحين تظهر في هذه الذرية هذه الخبائث، يسلط الله جل جلاله عليهم قومًا شرًّا منهم، فيذيقونهم أشد العذاب. فحينئذٍ يستغيثون أعدَاهُم فلا يغيثونهم. فيبعث الله عليهم مَن لا يرحم الصغير، ولا يُوقِّر الكبير؛ لأن كل واحد يؤاخذ بذنبه، ويشقى بعقوبته. فما رأينا قط الربا يبقى في قوم، والغش في البيع والشراء، والموازين والمكاييل، فَتَرَك الله، سبحانه، عقوبتهم، فيمنع أو يحبس الماء عن وجه الأرض.

ولا بقيت الفحشاء ولا انتشرت، دون أن يُرسِل عليهم الفناء والـمَوَتان. ولا بقي أهل بيت يتعاملون بالربا في البيع والشراء، وبالأيمان الباطلة، والطمع والكبر، إلا عاقبهم الله ﷻ بأنواع من الأمراض الشيطانية.

وما ظهر في قوم الـمَوَتان القبيح، ولا فشا فيهم القتل، إلا أذلهم الله، ومكَّن أعداءهم منهم. ولا ظهر في قوم عمل قوم لوط، إلا عاقبهم الله، فسلط الخراب عليهم. ولا ظهر في قوم قط قلة الصدق والرحمة، وقلة خشية الله، عند ارتكاب كل شر وخطيئة، إلا عاقبهم الله، فلم يَقبل صلاتهم، ولم يستجب دعاءهم في محنهم وشدائدهم، لأنه عندما تظهر الخطيئة في الأرض، يسلط الرب، سبحانه، العقوبة التي يستحقونها من السماء. ولن يلعن الله أحدًا من أهل بيتي، حتى يرى الرحمة ضائعة بينهم. ولن يعذب عبده في هذه الدنيا بالعذاب الأكبر، إلا بقسوة القلب. فهكذا، عندما يصير قلب الإنسان قاسيًا، يلعنه ربه، فلا يستجيب دعاءه ولا يرحمه. ولن يغضب الله أكثر من عباده، إلا عندما يقترب يوم الفصل. وهذا بتماديهم في الخطايا، وغفلتهم عن الخير، وعدم استقامتهم في طريق الحق.

وعندئذٍ بكى، وقال: فالله يرحمهم في هذه الجزيرة، عندما تظهر فيهم هذه الذنوب والخطايا، ويتركون العمل بالقرآن، والاستجابة لأوامره؛ لأن أكثرهم يومئذٍ سوف يطلبون الدنيا بالزهد والدين، وسوف يلبسون جلود النِّعاج الـمُتَّضِعَة، وتكون ألسنتهم أحلى من العسل والسكر. بيد أن قلوبهم ستكون قلوب الذئاب، وأعمالهم أعمال أرذال وسفلة. وعليهم سوف يصب الله عذابه، فلن يَقبل صلواتهم، لأنهم يؤثرون الجَور. ولن يَدخُل جماعةَ أهلِ بيتي المفسدون أبدًا. فمن ابتسم في وجه ظالم، أو وسَّع له في المجلس، أو أعانه أو أكرمه لأجل أن يرتكب الفساد، فقد هتك حجاب النجاة من حَلقِه. [كذا] وإذا طغى مَلِك في أرضه، ولم يحفظ العدل في رعيته، أظهر الله له في مُلْكِه نقصًا في الطعام والثمرات، وغيرها من الأموال كلها. فإذا حكم بالحق وبالعدل، ولم يكن في مُلْكِه قساوة ولا مظالم، بعث الله، سبحانه، بركته في مُلْكِه وقَومِه. وكان الزَّكاء في كل شيء.

وهكذا، فعندما يظهر في أهل هذه الجزيرة الجَور وخِذلان الحق والكفر، ويغلب الكبر والخيانة، فيُساء إلى اليتامى، ويجورون في المعاملة، فيخرجون عن سنن رحمة الله، ويطيعون

الشيطان، ويتبعون الشهوات، فيشهدون بالكَذِب والباطل، ويُذلِّون أنفسهم للأغنياء، ويستكبرون على المساكين بقسوة قلوبهم وكبرهم، ويكون قولهم حلوًا، وعملهم مرًّا؛ فعندئذٍ يصب الله عليهم عذابه.

وعندئذٍ بكى مرة أخرى، وقال:

ورحمة ربي، وعظمة أسمائه، لولا شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسوله، ومحبة الله لي، لصب عليهم عذابه صبًّا شديدًا. ثم بكى بكاءً شديدًا أكثر، وقال: «يا ربي ارحمهم». وكررها ثلاثًا. بل لأجل هذا، يسلط الله عليهم كذلك حكامًا قساةً وفجارًا كأشد ما يكون الفجور. فيأخذون أموالهم بغير حق، ويستعبدونهم، فيقتلونهم ويدخلونهم في دينهم، ويجعلونهم يعبدون معهم الصور والأصنام، ويجعلونهم يأكلون معهم الخِنزير.

فإذا استخدموهم في أشغالهم، عذبوهم عذابًا شديدًا فأخرجوا منهم الحليب الذي رضعوه من أطراف أظفار أصابعهم. ويبلغ بهم العَسْفُ الشديد في ذلك الزمان، حتى إن الرجل سوف يمر بقبر أخيه، أو صاحبه المدفون، فيقول: يا ليتني كنت معك! ويدوم عليهم ذلك، إلى أن ييأسوا من النجاة بدِين النجاة. فييأس أكثرهم، فيرتدون عن دين الحق.

وحينئذٍ بكى بكاءً أشد، وقال: فيرحمهم الله، سبحانه، ويُظهِر لهم وجهَ الرحمة، ويَنظر إليهم بعين الرأفة والرحمة والشفقة. وهذا سيكون حين يشتعل فيهم سُمُّ أعدائهم أكثر، حين يجيئون فيُحرِقون كثيرًا منهم بالنار الـمُلتهِبة، رجالاً ونساء، وأطفالاً أحداثًا، والشيوخ الكبار، وحين يخرجونهم وينفونهم من بلادهم. فعندئذٍ يَضِجُّ ملائكة السماء، فيمشون كلهم، وهم في حالة عظيمة، في رضوان الله، ويقولون له: يا ربنا. بعض من قومِ وَلِيِّك ورسولك محمد ﷺ، يُكوَون في النار، وأنت الجبار المنتقم. وعندئذٍ يبعث الله ﷻ من يغيثهم، ويخرجهم من هذا الشر والعذاب العظيم، ومن هذه العقوبة العظيمة.

وعندئذٍ بكى عليّ رضي الله عنه، فبكينا جميعًا معه. وقال له: متى يبعث الله هذه الإغاثة، ويصلح قلوبهم المغمومة؟ فأجابه هكذا:

يا عليّ، سيكون هذا في جزيرة الأندلس، متى دخل العامُ فيها يومَ السبت. وعلامة ذلك، أن يبعث الله سحابة من الطير، وفيها يظهر طائران مشهوران؛ أحدهما الملك جبريل، والآخر الملك ميكائيل. وسيكون هذا الأصل في ظهور طيور الأرض الأخرى من البَبَّغاوات. فيشيرون إلى مجيء ملوك المشرق والمغرب لإغاثة جزيرة الأندلس هذه.

وعلامة ذلك أن يَهجُموا أولاً على طلائع أهل الغرب. فإذا تكلمت هذه الطيور، أشارت أنه يكون في البلد الذي تتكلم فيه فتنة وقتال كبير في الغرب، ويعقبهما جميعًا رعب كبير وفتن. وستكون مناكر وفتن بين دين المسلمين وبين دين النصارى، ويرجع كل الناس إلى دين المسلمين. بيد أنه يكون ذلك بعد مشقة عظيمة.

وفي هذا العام، سيكون ضباب شديد، وماء قليل، وتحمل الأشجار ثمارًا كثيرة، وسيكون حصاد الحَبِّ في الجبال الباردة أوفر منه في السواحل، وتملأ النحلُ أجباحَها في هذا العام المبارك.

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم. والحمد لله وحده. لا إله إلا هو

هذا حكم مُستخرَج من كلام رسول الله ﷺ يسمى «طوق الحمامة»، على تشبيه تأليفه وحسنه بجمال ألوان طوق الحمامة. ونصه:

دعوا ذكر الهَزْل والثياب النفيسة والمفاخر، ولا تنسوا الموت فالحياة تنقضي.

وذنوبكم أعظم من الجبال، فأنيبوا إلى الله ولا تناموا، وإلا أصبحتم مدفونين في الشقاء.

ودعوا ذكر الجنان الفسيحة في المصانع الفخمة والنساء الـمُتَوَّجات والحالِيات.

واذكروا أهوال يوم الفصل، وغضب النار وحرائقها. عند تلك الساعة، سوف تسبق هذه العلامات:

خَسْف الأرض وزلزلتها، هول وفزع عظيمان، وعلامات أخرى لا يجوز للآدميين كشفها. وأكثر من تكلم فيها حُذيفة. وما قال إنه سمعه منها من نبي الله الهادي ﷺ يذكرها، هو أكثر من سبعين علامة. منها ثماني علامات هي الكبرى، والأخريات التي تتلوها هي العلامات الصغرى. وقد سأل عنها كثير من الصحابة المصطفى ﷺ فعدَّ لهم بعض العلامات المذكورة. فذكر منها ظهور رسول الله [عيسى عليه السلام] ونزول أولها في جنة تِهامَة، بعد أن تطلع الشمس مَفلوقَة. فهذه علامات يوم الفصل التي يشير إليها القرآن ويتكلم عنها، والأخريات الشبيهات بها هي كثيرة. وهي اليوم مشهورة في هذه الدنيا، أوضح من الضوء الساطع.

وذكر المصطفى ﷺ الذي كانت تُظلُّه الغمامة: «حين تَرَون النساء يسرن وراء الرجال يطلبنَهم دون حشمة أو حياء، مسعورات مثل البهائم الـمُغتَلِمَة، وحين يفشو الربا، والمال المكسوب بالشُّبهة بين الناس، ويتخذون الظلم والقتل دينًا، ويكثر عصيان الأبناء للآباء، وحين ترى المؤمن الصالح منكسر النفس، والعلماء معذبين، حتى يجيئوا فيخدموا الأشرار، وحين ترى كل زوايا بيتك معمورة بالحرام والشُّبهة، وحين يصير صهرك أقرب إليك نسبًا من أخيك الشقيق،

وتهجر أخاك، وتطيع صديقك، وحين ترى الأم العجوز تَتَّجِر ببناتها بين الرجال، ويعصي الابن والديه، ويطيع امرأته في كل شيء، وحين ترى الزخرفة في المساجد، والنساء قد تعوَّدن على العادات الفاسدة، والذنوب القبيحة، وحين ترى أهل الدين يعيشون مُترَفين وفي قصور مُشَيَّدة، وترى المستكبرين المجرمين يَكثُرون، والصالحين يَقلّون، والخائفين من الله مُفرَدين كاليتامى، والأشرار برءوس أعند وأصلب من الجبال الراسيات، وحين ترى الأذناب تسبق الرءوس، والصديق الحميم ينكر صديقه، ولا يجرؤ الرجل على أن يثق بمن يجتمع به، وحين ترى الكرام يفتقرون، والبخلاء يرتفعون، والأيدي الكريمة تُقبَض، ويكثر الـمُستَعطون، وحين ترى الدين مهجورًا، وأتباعه من القلة كالشَّامات البيضاء في الشعر الأدكن، وذئاب الرجال، وقد ارتدوا بالأردِيَة، ومن كان ذئبًا أكل مع الذئاب، ومن لم يكن ذئبًا أكلته الذئاب، وحين ترى الشِّقاق يكثر كثرة شديدة، والمطر يقل في الأرض، ففي هذا الوقت يكون الفناء.

وكلما كان رسول الله ﷺ يذكرها، كانت عيناه تفيضان بالدموع ويقول: كيف يكون حال من يولد في هذا الوقت؟! وذكر كذلك علامات أخرى: ظهور نيران تشتعل في رُومِيَة، تَهُبُّ بين الناس بين الماء والأرض، ويكون دخان شديد يبلغ ارتفاعه أن يلفح وجوه الكفار ويكوي صدورهم.

وذكر هلاك أمم في الحجاز في المشرق، وأمم أخرى أسفل الجزيرة، وظهور قنطرة قصر المجاز. وذكر علامات تتحقق بالقوة. وحين تؤخذ القسطنطينية عنوة من الروم، وحين ترون المسلمين قادرين أعظم القدرة على الغلبة، يفتحون رُومِيَة، ويغلبون البرتغال، حينئذٍ يكثر عندهم الأموال من الأحجار الكريمة والسِّكَك، حتى يَقسِموها بشعار القاسم.

وحين تصير الدنيا إلى هذا الكمال، فهذا علامة على أن النقص يأتي بعد كمالها، وتصير القلوب غير مطمئنة، فتُفلِت الدنيا من بين أيديهم. وقبل هذا، فاعلموا أن الله سيأمر بأن يخرج في الغرب طاغوت يُخضِعه، لا يكون في وجهه صفة إنسان؛ يسوم الناس سوء العذاب. فبين يديه يَهلَكون وتهلَك كل أموالهم معهم. وبعده يقوم مَلِك آخر جليل القدر، يُدعى يعقوب؛ تكثر محنه ومصائبه، فيموتون من الحاجة. فهذا الأمر سوف ترونه في الغرب، مع كَدَر وفتنة كبيرين. وسوف يصيب الناسَ نقصٌ كبير.

وسوف تبقى الأندلس يتيمة بغير سلطان ولا من يُطاع فيها. وسوف تكون بعض الوقت في هذه الشدة سوداء حائرة ومظلمة، حتى يبلغ خبرها إلى رُومِيَة. ومن هنالك يخرج مَلِك لا عيب فيه، مَلِك ابن مَلِك. يا سادة. يركب البحر في جيوش عظيمة، يقومون بدعوته إلى غَرناطة، الناصعة والسَّنِيَّة، حيث يقولون له: أنت مَلِكنا الجبار، وحاكمنا في كل حال. فيطْلُع بجيوشه وسراياه إلى قصور الحمراء. وهنالك يمكث بضعة أيام مستخفيًا. ومن هنالك يفتح قلاعًا كثيرة وكبيرة جدًّا، وأقاليم وأمصارًا تباعًا. وسوف تَرَون شدة وصولجان وتاج المسلمين. فيملكون دون ريب إشبيلية، ويستولون على تسعين مدينة من الكفار، وبأيدي هذا الـمَلِك يُصلِحون كل مدن الغرب، فتكون مُغتبِطة به.

ففي الخَرجة الأولى، يأخذ مدينة أنتَقيرة، فيتسلق أسوارها، ويهدمها عنوة. ويدوم هذا الفتح سبعة أعوام. فتُحمَل الأموال من أرض الكفار. فتبارك الله ربنا، الذي يحكم هذا الحكم، فيذيق الكفار من مرارة هذه الكئوس. فعندما تحين ساعة هذا القيام، ويأتي أمر الله ﷻ يوجه هذا السيد وجهته إلى شَقوبِيَّة. وفي شهر رمضان يدخلها على كل حال. وهكذا سوف يوالي فتحه الذي سوف يكون متواصلاً، فيأخذ قلاع النصارى في حَذاقَة. وبعد هذا تقع خلافات بين الولاة وبين الـمَلِك. ويخرج ذو العَرف مَلِك النصارى، فيخرج على كل الأمة فيكسِرهم، ويسوقهم إلى أن يجعلهم يمتنعون عليه في فاس.

وحين يجيئون للجواز من جبل طارق، يُعوِّقهم البحر، فتحاصرهم من كل جهة جيوش عظيمة من نصارى الـمَلِك ذي العَرف، فيهرُب أهل السَّعة فارِّين في السفن. والذين لا يستطيعون الجواز، يموت أكثرهم ذبحًا بالسكين، وآخرون غرقًا في البحر.

عندئذٍ يبعث الله مَلَكًا طويل القامة مستخفيًا، أعلى قامة من الجبال، يضرب بيده في البحر فيشقه، فيخرج منه قنطرة مذكورة في هذا التاريخ. فيهرُب ثلثا الأمة عائمين، ويبقى الثلث الثالث يُذبَحون ويَغرَقون بالماء، فيواصل النصارى فتحهم. وسرعان ما يدخلون فاس عنوة. فإذا دخلوا المدينة بحثوا عن مَلِكِها، فيجدونه مستخفيًا في الجامع [القرويين]، وفي يده سيف إدريس عليه السلام وقد صار مسلمًا. فإذا رأوه أسلم كل النصارى معه. ثم يصعد إلى البيت بمكة فيصلي فيه، إلى أن يرى بئر زمزم وصفاء مائها.

ثم يولد المسيح الدجال العجوز الملعون ويخرج. ففي هذا الوقت يرسل الله قحطًا شديدًا يدوم سبع سنين. ففيها لن يظهر قمح ولا حَبٌّ ولا ماء، إن لم يكن هو ما يُظهِره هذا العجوز الملعون. فيزرع القمح في الظُّهر، ويحصده في العشية. ويغرس الأشجار والنباتات باليد اليمنى، ويَجني الثمار باليسرى. ويأمر الميت بأن يقوم فيقوم، فيدَّعي بأنه محيي الموتى، والرب الذي لا كُفُؤ له.

فمن اتبعه وأطاعه، فلن يُحصِّل أي خير، ويموت كافرًا ويُدفَن في النيران. فيمشي ويَتبَع الناس، فيُظهِر لهم أقواتًا كثيرة ومتنوعة وعيون الماء. وفي جبهته يكون مكتوبًا: طغى وفجر. وتكون صورة وجهه مُفزِعة؛ لأنه لن يكون له إلا عين واحدة، وفي رأسه خيط مليء بالطعام، مُدوَّر كاستدارة القمر. وستَرَون الناس وراءه في عدد كبير، فلا يسعهم مكان مع أولادهم وعائلاتهم. فيصعد على دابته ذات الخِلقة الـمُفزِعة، ويمد الخطوة مثلما يُرسِل النظرة. وفي سبعة أيام، يدور العالم كله.

وسيكون عنده واديان مذكوران: واحد من ماء، والآخر من نار. فإذا شرب الذين يجيئون معه الماء، وجدوه حاميًا كالنار. فيجيء بكل عشائر اليهود، فينطفئ بها نور الصباح السَّنِي. عندئذٍ يبعث الله، سبحانه، عيسى المسيح ابن مريم [عليه السلام] فيخرجه إلى الـمُنازَلة في بلاد الحجاز. فإذا رآه، ذاب أمامه مثل جبان مخنث. فيقول الحجر والأمكنة: قد دخل عدو الله تحتنا. ويبقى المسيح الهادي.

فبفضله، سيمشي الذئب مع النعجة في محبة. وسيلعب الصبيان بالحيات والأفاعي السامة ولا تضرهم. فيأخذ (الناس) بشرع نبينا [عليه السلام] ويَحكُم بالعدل فيه. ويُقدِّم للخُطبة وللصلاة شريفًا من نسب محمد ﷺ على الدوام. وفي زمنه، يُسلِم لله كلُّ كافر.

فإذا علم هذا أهل الأرض، طلع المسيح إلى جبلِ طَهور، فيهدم سد يأجوج ومأجوج، وهم الأقزام الذين يَفوت عددهم رمال البحر، وأبدانهم ووجوههم وسماتهم مختلفة؛ فبعض أحجامهم كريشة الكتابة، وأخرى أعلى من الجبال، وآخرون لهم آذان كبيرة جدًّا، فيجلسون عليها، وبقسم منها يُغطّون الأرض. وهذا سيبقى ثمانين سنة.

المصادر والمراجع

- ابن تيمية (تقي الدين؛ أبو العباس؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني، ت ٧٢٨هـ). **مقدمة في أصول التفسير**. تحقيق عدنان محمد زرزور. الكويت: دار القرآن الكريم؛ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢.

- ابن الجوزي (جمال الدين؛ أبو الفرج؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري، ت ٥٩٧هـ). **القُصَّاص والمَذكِّرين**. تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦.

- ابن الجوزي (جمال الدين؛ أبو الفرج؛ عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي القرشي التيمي البكري، ت ٥٩٧هـ). **كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات**. تحقيق نور الدين بن شكري بويا جيلار. الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٧.

- ابن الحاج السُّلَمِي، جعفر. **الأسطورة المغربية: دراسة في المفهوم والجنس**. الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية. تطوان: مطبعة الخليج العربي، ٢٠٠٣.

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين؛ أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني، ت ٨٥٢هـ). **تهذيب التهذيب**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١.

- ابن عدي (أبو أحمد؛ عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني، ت ٣٦٥هـ). **الكامل في ضعفاء الرجال**. تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وعبد الفتاح أبو سنة. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧.

- ابن قتيبة (أبو محمد؛ عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت ٢٧٦هـ). **تأويل مختلف الحديث**. تحقيق محمد محيي الدين الأصفر. ط. ٢. بيروت: المكتب الإسلامي؛ الدوحة: دار الإشراق، ١٩٩٩.
- ابن منظور (جمال الدين؛ أبو الفضل؛ محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ت ٧١١هـ). **لسان العرب**. بيروت: دار الفكر، د.ت.
- أبو البقاء (أبو البقاء؛ أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي الحنفي، ت ١٠٩٤هـ). **الكُلِّيَّات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١١.
- الجابري، محمد عابد. **المثقفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل، ونكبة ابن رشد**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨.
- الخليل بن أحمد (أبو عبد الرحمن؛ الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري الأزدي اليحمدي، ت ١٧٠هـ). **كتاب العين: مرتبًا على حروف المعجم**. تحقيق عبد الحميد هنداوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣.
- الروبي، ألفت كمال. **الموقف من القَصِّ في تراثنا النقدي**. [القاهرة]: مركز البحوث العربية، [١٩٩١].
- زين الدين الرازي (زين الدين؛ أبو عبد الله؛ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت ٦٦٦هـ). **مختار الصِّحاح**. تحقيق يوسف الشيخ محمد. صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٩٥.
- شُكر، مُلحِم. **الزندقة في دار الإسلام، في القرن الثاني للهجرة**. بيروت: منشورات الجمل، ٢٠١٦.
- شمس الدين الذهبي (شمس الدين؛ أبو عبد الله؛ محمد بن شهاب الدين أحمد بن عثمان ابن قايماز بن عبد الله الذهبي، ت ٧٤٨هـ). **سير أعلام النبلاء**. تحقيق شعيب الأرناؤوط، وآخرين. ط. ١١. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨.

- الفيروزآبادي (مجد الدين؛ أبو طاهر؛ محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي، ت ٨١٧هـ). **القاموس المحيط**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.
- القرطبي (شمس الدين؛ أبو عبد الله؛ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، ت ٦٧١هـ). **التَّذكِرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**. تحقيق فوّاز أحمد زمرلي. مج. ٢. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧.
- مِشبال، محمد. **بلاغة الخطاب الديني**. معالم نقدية. الرباط: منشورات ضفاف، ٢٠١٤.
- الملا علي القاري (نور الدين؛ أبو الحسن؛ علي بن سلطان محمد الملا الهروي القاري، ت ١٠١٤هـ). **الأسرار المرفوعة، في الأخبار الموضوعة، المعروف بالموضوعات الكبرى**. تحقيق محمد بن لطفي الصباغ. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦.
- المناوي (زيد الدين؛ محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري، ت ١٠٣١هـ). **التوقيف على مُهِمّات التعاريف**. تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت: دار الفكر المعاصر؛ دار الفكر، ٢٠٠٢.
- النَّجم، وديعة طه. **القَصَص والقُصَّاص في الأدب الإسلامي. دراسات في التراث العربي**. الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٧٢.
- نُعَيم بن حماد (أبو عبد الله؛ نُعَيم بن حماد بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي المروزي الفرضي الأعور، ت ٢٢٨هـ). **الفتن**. تحقيق أبي عبد الله أيمن محمد محمد عرفة. القاهرة: المكتبة التوفيقية، [--١٩].
- Eliade, Mircea. *Aspects du mythe*. Collection idées 32. [Paris]: Gallimard, 1963.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية